

## فكر / اقتصاد

جورج قرم  
نقض التعمية النيوليبرالية

بعد أشغاله على التاريخ، يعود المفكر اللبناني إلى الاقتصاد، اختصاصه الأول. في «حكومة العالم الجديدة» الصادر بالفرنسية عن «منشورات لا ديكوفارت»، يحلل أسباب الأزمة المالية الحالية، ويدحض مقولات الفلسفة النيوليبرالية

## خليفه عيسى

صدر أخيراً كتاب «حكومة العالم الجديدة: الإيديولوجيات، والبنى، والسلطات المضادة» (منشورات لا ديكوفارت)، للاقتصادي والمؤرخ والكاتب جورج قرم. صاحب «تاريخ الشرق الأوسط من الأزمنة القديمة إلى اليوم» (2007)، يعود في هذا المجلد الصادر بالفرنسية، إلى اختصاصه الأول، أي الاقتصاد. يحلل المفكر والخبير الاقتصادي اللبناني، في مؤلفه الجديد، الأسس الفكرية والبنية المؤسساتية للنظام النيوليبرالي. وينجح في كشف إشكاليات عدة، بأسلوب تتخلله سخرية لطيفة، تضيف على القراءة متعة كبيرة. ينقض قرم هنا الإيديولوجيا النيوليبرالية السائدة، حول عدم تدخل الدولة في الاقتصاد، وجعل السوق يتحكم بمجريات اللعبة الاقتصادية. يدحض مقولات عتاة المنظرين للنيوليبرالية، أمثال النمساوي فريدريك فون هايك، والأميركي ميلتون فريدمان. يشرح لنا كيف يعمل النيوليبراليون الاقتصاديون، على إدخال الهوموم الاقتصادية الراهنة، إلى عالم اللغز، وذلك عبر سيل من الأرقام والمؤشرات الصادرة عن «البنك الدولي» و«منظمة التجارة العالمية». يلتفتنا جورج قرم إلى تعابير بتنا نراها في كل مكان حولنا، مثل «مكافحة الفقر» و«التنمية المستدامة»، وهي كلمات كبيرة، تثير فينا ردات فعل إيجابية، بعيداً عن التعمية المبطنة. يسند قرم

حججه في هذا الإطار، على نظريات الفيلسوف الفرنسي جان بودريار في اللغة. كذلك يفرد الكاتب مساحة خاصة لدراسة دور المؤسسات غير الحكومية التي يجري التعميم على دورها الفعلي في نشر إيديولوجيا «العولمة»، في حين أنها مرتبطة عضوياً بمؤسسات حكومية أميركية وأوروبية. في «حكومة العالم الجديدة» Le nouveau gouvernement du monde، يتعرض الأستاذ في «الجامعة اللبنانية» و«الجامعة اليسوعية»، لمسألة تعليم الاقتصاد في الجامعات. فقد أصبحت هذه الأخيرة برأيه، تلقن طلابها الأفكار النيوليبرالية حصراً، من دون تنمية التفكير النقدي للسائد. يتطرق قرم أيضاً إلى الأزمة الاقتصادية الحالية، فيعزو أحد أسبابها إلى غياب الرقابة المصرفية، مشيراً إلى أن أداء مصرفياً أكثر عقلانية كان يمكن أن يجنبنا ما حصل. لكن، كان ذلك سينتج أرباحاً أقل للمصارف التي جذبتها هيكله عالمية على أسس الربح، ما ولد أرباحاً طائلة لا وجود لها في الحقيقة. إلا أنه عند الكلام على الأزمة الاقتصادية الحالية، يمكننا أن نكتشف اختلافاً نظرياً كبيراً بين المدرسة الاقتصادية البورجوازية التي ينتمي إليها جورج قرم، والمدرسة الماركسية. تعزو هذه الأخيرة مثلاً، أسباب فشل الاقتصاد الرأسمالي إلى الإنتاج والعلاقات التي يولدها، كما قرأنا في آخر مؤلفات دافيد هارفي. أما قرم، فلا

GEORGES CORM

LE NOUVEAU  
GOUVERNEMENT  
DU MONDE

IDÉOLOGIES, STRUCTURES, CONTRE-POUVOIRS

LA DÉCOUVERTE

دور المؤسسات غير  
الحكومية في نشر  
إيديولوجيا «العولمة»

يتطرق في كتابه إلى إنتاج السلع في الاقتصاد العالمي، بل يرد الإشكالية كلها إلى المستويين اللاحقين، أي السوق والاستهلاك. هذا خيار قرم التحليلي، فهو يسعى ليكون «حيادياً بالمعنى الإيستيمولوجي» عند تحليل الأنظمة الاقتصادية، كما نقرأ في كتابه (ص 22). لكنه أمر صعب للغاية على أي حال، لهذا يوصي مثلاً بعدم استعمال تعابير محاطة بالقدس مثل «الرأسمالية» و«البورجوازية» و«الماركسية». ينتقد قرم المظهر «الديني» للنيوليبرالية، ليعده أسوأ من الشيوعية الدينية» أيام الاتحاد السوفياتي. ويرى ككثيرين من

منظري الاقتصاد البورجوازي، أنه يمكن الوصول إلى نظام اقتصادي (رأسمالي) جيد، فيه خير للجميع، إذا قمنا بواجبنا الأخلاقي أساساً كباحثين، ومنظرين، ونخب من أجل خفض الفوارق الاجتماعية، عبر التحكم بالسوق بفاعلية. وينتهي الكتاب المشوق بطرح بدائل للنيوليبرالية الحالية واقتراح وسائل مقاومتها، معلقاً آماله على الحركات المناهضة للعولمة. ويدلل قرم على أن ارتفاع البطالة، سيؤلف جمعاً ممن هم بمثابة مشاة «الجيش الثوري للتغيير»، أي العاطلين من العمل. ينهي قرم كتابه بالمقطع الآتي: «يا جمهوري وطالبي العدالة من كل البلدان، ومن كل الإثنيات، ومن كل الأديان والمشارب الأكاديمية، اتحدوا!» فهل تعبير كارل ماركس البسيط «يا عمال العالم اتحدوا» لم يعد يكفي اليوم؟

يوقّع جورج قرم الترجمة العربية لكتابه «تاريخ أوروبا وبناء أسطورة الغرب» عند الخامسة مساءً غد عند جناح «دار الفارابي»، «معرض بيروت العربي الدولي للكتاب» (البيال).

## تواقيع

◀ يوقّع الشاعر زميل بشير البكر، ديوانه الجديد «ما بعد باريس» عند السادسة من مساء الأحد 12 كانون الأول (ديسمبر) الحالي، في جناح «دار النهضة العربية» في «معرض بيروت العربي الدولي للكتاب» في «بيال».

◀ جناح «دار الكتاب العربي» يحتضن توقيع كتاب «فكر فيها» للصحافي فيصل سلمان، عند الخامسة مساءً غد ويعد غد في «بيال». يأتي التوقيع بالتعاون مع تلفزيون المستقبل الذي يبث يومياً حلقات البرنامج الذي يحمل عنوان الكتاب نفسه.

◀ في كتابه «أفضل الأعداء» يروي بسام أبو شريف، لقاءه مع عوزي محانامي، العضو السابق في استخبارات الجيش الإسرائيلي. التقى الرفيقان اللدويان» في لندن عام 1988، وعملاً على التمهيد لمصافحة عرفات - رابين الشهيرة عام 1993. أثار هذا الكتاب في نسخته الإنكليزية ضجة كبيرة، وسيوقعه أبو شريف عند السادسة مساءً الأحد 12 الحالي في جناح «دار الساقى» في «بيال».

◀ توقّع الأسيرة المحررة سهى بشارة كتابها «أحلم بزئانة من كرز»، وهو إنجاز مشترك مع كوزيت إبراهيم، عند السادسة مساءً غد في جناح «الساقى» في «البيال». كذلك يحتضن جناح الدار، معرض «فنّ المعتقل»، وهو مجموعة أشغال يدوية أنجزتها بشارة.

◀ يعود الفنان الكلاسيكي المعاصر من جديد، لكن ليس على الصفحة الأخيرة من «الأخبار» هذه المرة، بل في كتاب. «هذه القصة تجري...» كتاب يجمع فيه مازن كريباج القصص المصورة التي رسمها على صفحات «الأخبار»، ويوقعه عند الخامسة مساءً الأحد 12 الجاري في جناح دار الآداب «بيال».

◀ يوقّع جلال شريم كتابه «إرادات وقبود - دراسة أنثروبولوجية في معتقل الخيام» (مكتبة النخبة الجامعية) عند السادسة مساءً غد في جناح «النادي الثقافي العربي».

◀ في جناح «الدار العربية للعلوم ناشرون» (البيال) توقّع الروائية ليلي العثمان روايتها «المرأة القطة» ومجموعة قصص قصيرة بعنوان «ليل القهر»، عند السادسة مساءً الاثنين 13 الحالي.

◀ يواصل فيصل فرحات سرد سيرته الذاتية، في «فلتة زمانه» الذي يوقعه في جناح «دار الفارابي» في «البيال» عند السادسة مساءً الاثنين 13 الحالي.

◀ يوقّع الباحث جمال واكيم كتابه «سورية ومفاوضات السلام في الشرق الأوسط» عند السادسة من مساء غد في جناح «شركة المطبوعات للتوزيع والنشر» في «البيال». يسبق التوقيع محاضرة يلقيها واكيم في قاعة المحاضرات، بمشاركة الباحث والصحافي سعد محيو.

◀ توقّع الشاعرة لميس شعبان ديوانها «امرأة تحمل الحجر جنباً» في جناح «دار الفارابي» (البيال) عند السادسة مساءً الاثنين 13 الحالي.

◀ «حيوات ميتافيزيقية، حيوات تاريخية» - قراءات في روايات معاصرة» عنوان كتاب الصحافي والشاعر إسكندر حبش، الذي يوقعه عند السادسة مساءً الأحد 12 الحالي في جناح «الدار العربية للعلوم ناشرون» (بيال).

## فكر / اديان

## الإسلام بين الحرية والردة

## علي السقا

هل يمكن الحرية بالمعنى الاصطلاحي أن تكون إسلامية أم مسيحية أم يهودية؟ أليست حقاً مكتسباً، تتمثل اجتماعياً بنحو نسبي تبعاً للزمان والمكان؟ في كتاب «الحرية - قراءة في مركزاتها الإسلامية» (منتدى الفكر اللبناني)، لن يعثر القارئ - باستثناء بعض الومضات - على مناقشة للحرية خارج الكليشيه الديني المعهود. نص الشيخ عبد الله الحلاق مثلاً، يناقش الحرية بين الفتوى الشرعية وأحكام الردة. فهو رغم إسهابه في وجوب الحرية، انطلاقاً من مقولة لا إكراه في الدين، ومن دور المجامع الفقهية في ضبط الفتاوى الشرعية، للحد من ظاهرة طفرة الفتاوى التكفيرية، يعود في باب «الردة وتوبة المرتد في الأحكام الشرعية» إلى نسف مفهوم الحرية

من أساسه. وبحسب مقولته، يحق للمفتي، والقاضي الشرعي، أن يحكما بمسائل الردة، وعلى رأسها تنفيذ القتل بالمرتد بعد إمهاله ثلاثة أيام للعودة عن رذته. فإين الحرية من العودة إلى الإسلام تحت التهيب؟ ألا يخالف صراحة الآية القرآنية «من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر»؟ ثم هل يتفق تنفيذ هذه الأحكام مع دولة حديثة لها دستور وقوانين وضعية، وإن كان ثلثا شعبها من أتباع الإسلام؟

هذا ما يقول به الشيخ مصطفى ملص. فلا يمكن أن تنشأ حرية إنسانية من الضغط على الفرد. ولأن الله عتيق الإنسان من العبودية لسواه، فإنه «يدفعه إلى تحمل مسؤولية قراره، وإدراك قيمة هذا القرار على مستقبله، لكنه ليس فوراً ولا دنوياً، بل هو أخروي». ويشير ملص إلى «عدم قدرة

تناسه الكتاب البني  
التي تسوغ التواطؤ  
بين الحاكم والفقير

بعضهم على التمييز بين الحرية والفضوى، فيرفض الاثنين معاً، وهذا ما يقع به بعض المتدينين وأصحاب المشاريع الدينية». وبحسب الشيخ محمد زراقت، فإن الحفاظ على الحرية، كقيمة ومفهوم نسبي، يتصل بالموروثات الثقافية، سواء كان الدين جزءاً منها أو لا، يجب «أن ترتبط بكثير من التشريعات القانونية والأخلاقية، وليس هذا خاصاً بالإسلام وحده، بل كل القوانين هي محاولات لتنظيم الحرية ووضع الحدود لها» بحسب الشيخ زراقت.

لم يتطرق المساهمون في هذا الكتاب، في سياق تحليلهم للبنية الفقهية والاجتماعية للحرية، إلى ما هو ملموس. لم يأتوا على ذكر البنية التشريعية التي تسوغ استبداد الحكام، عل أساس التواطؤ المستتر أو العلني، بين الحاكم والفقير.

